الاتجاهات الحديثة في دراسة الأنثروبولوجيا

عمرو عبد الرازق محمود سليمان(*)

مقدمة:

تعتبر السياحة ذات صلة بالعديد من القضايا النظرية والواقعية في الأنثروبولوجيا، ويمكن التأكيد على ان علماء الأنثروبولوجيا قد غطوا موضوعات رئيسية في دراسة السياحة تنقسم من الناحية المفاهيمية إلى نصفين: يسعى النصف الأول إلى فهم أصول السياحة، والآخر يكشف عن تأثيرات السياحة، وحتى عندما تؤخذ هاتين النهجين معاً، يبدو أنهما لا ينتجان إلا تحليلاً جزئياً للسياحة، و المشكلة هي أن معظم الدراسات التي تهدف إلى فهم أصول السياحة تميل إلى التركيز على السياح، ومعظم الأبحاث المتعلقة بتأثيرات السياحة تميل إلى التركيز على السكان المحليين، ويجب أن يكون الهدف من البحث المستقبلي هو استكشاف الحوافز والآثار لكل من السياح والسكان المحليين في جميع مراحل السياحة، و هذا المنظور الأكثر شمولية سيكون مهما لاستكشاف الطرق التي يمكن بها للسياحة البيئية والأشكال البديلة الأخرى للسياحة أن تولد منافع اجتماعية واقتصادية وبيئية للمجتمعات المحلية، وأيضا تخلق تجارب حقيقية للسياح، وتملك السياحة بعض جوانب صناعة الترفيه وأيضا تساعد في ترويج التجارة الدولية في السلع ؛ أي انها جزء من المتعة وجزء من قوة تنموية كبيرة، ونظرا لكونها كل هذه الأشياء في وقت واحد، فانه لا يمكن تحليلها بشكل جزئي فقط.

إشكالية البحث:

يبدو أن علماء الأنثروبولوجيا والسائحين لديهم الكثير من القواسم المشتركة، حيث ان كلاهما يقضي وقتا في استكشاف المنتجات والشعائر الثقافية في المجتمع، ويحمل كلاهما وضعية خارجية من خلال اقتحامهم لحياة الآخرين، والحقيقة هي أن

(*) طالب دكتوراه - قسم الفلسفة في الأنثروبولوجيا - كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة ، عدد ٤٤، يوليو ٢٠١٨ ص ص ٥٨٧ - ٦٢٠ .

السياحة يمكن أن تكون السياق المثالي لدراسة قضايا الاقتصاد السياسي، والتغير الاجتماعي والتنمية، وإدارة الموارد الطبيعية، والهوية الثقافية والتعبير، وفي الواقع، فان العديد من الأسئلة الرئيسية التي تهم علماء الأنثروبولوجيا الثقافية تظهر في دراسة السياحة.

تساؤلات البحث:

وباستخدام النظرة البؤرية السياحة، تم طرح الأسئلة التالية:

س1: ما العلاقة بين الأنثروبولوجيا والسياحة؟

س2: ما أصول السياحة وما سبب ظهور بعض الأنواع من السياحة في المجتمعات؟

س3: ما الاختبارات والقيود المحلية التي تحفز السياح؟

س4: ما تأثيرات السياحة على المجتمعات المضيفة؟ وما التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحدثها؟

س5: ما ديناميات تفاعل الضيف/ المضيف في أنثروبولوجيا السياحة؟

س6: ما أشكال السياحة البديلة؟

وفي سعيهم للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، جعل العديد من علماء الأنثروبولوجيا السياحة التركيز الرئيسي لتفسيرهم وتحليلهم.

أهمية البحث:

في هذا البحث تم إبراز العديد من الموضوعات الرئيسية التي تناولها علماء الأنثروبولوجيا في دراسة السياحة، وتم اقتراح أن الأدبيات الحالية حول السياحة يمكن تقسيمها من الناحية المفاهيمية إلى نصفين، إحداهما تركز على فهم أصول السياحة وتهدف إلى تحليل آثار السياحة، ومن اهم النقاط الرئيسية فى هذا السياق هي أن كلا النهجين، حتى عندما يؤخذان معا، يبدو أنهما لا يرويان سوى نصف القصة، أي ان المشكلة هي أن العديد من الدراسات حول أصول السياحة تميل إلى التركيز على السياح، وكثير من البحوث الموجهة إلى آثار السياحة تميل إلى

تحليل السكان المحليين فقط، أي ان استكشاف أجزاء فقط من اللقاءات الثنائية بين السياح والسكان المحليين، أو بين «المضيفين والضيوف»، لم يترك لنا سوى نصف التفسيرات.

وعلى الرغم من وجود نظريات حول الأصول التاريخية للسياحة (Adler 1989, Towner & Wall 1991)، وعن سبب سفر الناس كسائحين في العصر الحديث (MacCannell 1976)، أو لماذا يبحث بعض السياح عن أنواع معينة من الوجهات (Cohen 1988)، الا ان هناك افتقار إلى فهم لماذا يشارك الناس والمجتمعات المضيفة في السياحة بطرق معينة، وفى ظل غياب التحليل، فقد تم ترك الأمر للافتراضات، وعادة كان الافتراض الرئيسي هو أن السياحة تم فرضها على السكان المحليين، على الجانب الآخر، عندما نفحص تأثيرات السياحة، يتم الميل إلى التركيز أكثر على السكان المحليين أكثر من التركيز على السياح، ومرة أخرى، لم يتبق لدى هذه الدراسة سوى تحليل جزئي، على سبيل المثال، لقد تعلمنا العديد من الأشياء حول الطرق التي تميل المجتمعات المضيفة إلى تغييرها في أعقاب السياحة.

وتميل الاقتصادات المحلية إلى أن تصبح إما معززة من فرص العمل (Mansperger 1995) أو تعتمد أكثر على الدولارات السياحية (Erisman 1983)؛ حيث يمكن القول انه يمكن للتقاليد والقيم المحلية أن تصبح بلا معنى(Greenwood 1977) أو أكثر أهمية (Van den Berghe 1994) بمجرد أن يتم تسويقها في السياحة ؛ ويمكن للمقيمين المحليين إما تحمل عبء تدهور الموارد (Stonich 2000) أو أن يصبحوا الوكلاء الأساسيين لحماية الموارد (Young 1999) وذلك في سياق السياحة، لكننا لا نعرف شيئاً عملياً عن تأثيرات السياحة على السياح أنفسهم أي كيف يتأثرون بما يرونه ويفعلونه ويختبرونه أثناء سفرهم؟، ويمكن أيضا تمييز هذه الفجوات أثناء الفهم من حيث النظرية مقابل البيانات لأنواع مختلفة من التحليلات، وذلك في تقييم محفزات السياح (أي العوامل النفسية والاجتماعية، والظروف المادية، وما إلى ذلك)، وقد طرح العديد من العلماء فى هذا السياق

نظريات عامة (MacCannell 1976, Graburn 1983, Nash 1981) ومع ذلك، فقد تم تحليل القليل من البيانات التجريبية نسبيا لدعم أو دحض هذه النظريات.

وعلى العكس، في دراسة تأثيرات السياحة، اعتمد الباحثون على البيانات أكثر بكثير من النظرية، وعلى الرغم من أن الأدبيات اهتمت بشكل كبير بدراسات الحالة الإثنوغرافية عن تأثيرات السياحة في المجتمعات المضيفة، إلا أنه يتعين علينا تطوير نماذج أو أطر تحليلية يمكن أن تساعد في التنبؤ بالظروف التي يعيش فيها السكان المحليون في المجتمعات المضيفة، وقد تم تناول هذه الثغرات المتواجدة فى الأدبيات بمزيد من التفاصيل في الصفحات التالية، ورسالة هذا البحث الأساسية هي أنه يجب طرح أنواع جديدة من الأسئلة في الأنثروبولوجيا السياحية، خاصة عندما يتم النظر في المزايا الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للسياحة الإيكولوجية وغيرها من أشكال السياحة البديلة.

ويمكن القول انه في العقد الماضي أو نحو ذلك، اتخذت صناعة السياحة تحولات كبيرة نحو أهداف الاستدامة الاقتصادية والبيئية، والمشاركة المحلية، والتعليم البيئي، وتماما كما تغيرت الصناعة، كذلك يجب أن أهدافنا البحثية تتغير، حيث لابد من أن نكرس مزيدا من الاهتمام لنوعين من الدراسة، أولها على الطرف المضيف.

ما هي بعض العوامل التي يمكن أن تفسر أنواعا معينة من المشاركة المحلية في السياحة؟ وعلى الطرف الآخر، ما هي الآثار المختلفة لأنواع معينة من السياحة على مواقف وسلوكيات الضيوف، سواء في منتصف جولتهم او بمجرد عودتهم إلى ديارهم؟

الإطار النظري للبحث:

يتناول هذا البحث ما يلي: أصول السياحة، تقييم الاختيارات والقيود المحلية، تأثيرات السياحة، التغيير الاقتصادي، التغيير الاجتماعي والثقافي، وأشكال السياحة البديلة.

أولاً: الأنثروبولوجيا والسياحة:

حتى سبعينيات القرن العشرين، أظهر عدد قليل من علماء الأنثروبولوجيا اهتماما أكاديميا كبيرا بالسياحة، وعلى الرغم من أن السياحة كانت ذات صلة بالتأكيد بالشعوب والأماكن التي كان يدرسها العديد من علماء الأنثروبولوجيا، إلا أن القليل منهم كان ينظر إليها باعتبارها مركزا قانونيا للتحليل (Nash, 1996)، وكان أحد الاستثناءات هو Nunez، الذي وصف السياحة في عطلة نهاية الأسبوع في قرية مكسيكو في عام ١٩٦٣.

في العقدين الماضيين، ظهر حقل كامل، أبرزه حول أبحاث السياحة والمؤتمرات والدورات الجامعية، واحدها كان من أشهر الأعمال الرائدة في الدراسة الأكاديمية للسياحة وتم عبر (1989) Smith، الذي نشر لأول مرة في عام ١٩٧٧، حيث قدم مجلدها منظوراً نظريا و١٢ دراسة حالة لتوثيق تأثيرات السياحة.

وقد كان (1976) MacCannell مؤثرا بشكل كبير، خاصة لتطوير نظرية السياحة في المجتمع الحديث، وقد قام العديد من الباحثين الرئيسيين بنشر مقالات تعريفية ميدانية على مر السنين (Cohen 1972, 1984; Crick 1989; Graburn 1983; Jafari 1977; Nash 1981; Nash & Smith 1991)؛ وكانت أحدث الملخصات التمهيدية حول هذا الموضوع تشمل تلك التي كتبها Burns (1999), Chambers (1997, 1999), and Nash (1996)، ويمكن القول ان هناك عدة عوامل تجعل السياحة ذات صلة خاصة بالأنثروبولوجيا، فالسياحة تحدث في معظم المجتمعات الإنسانية، إن لم يكن كلها، أى أن نقول أن الناس في كل مجتمع تقريباً قد تأثروا بالسياحة بطريقة ما، وقد شهد العديد من علماء الأنثروبولوجيا التغييرات التي أحدثتها السياحة في مواقعهم الميدانية.

كما تحتل السياحة على الأقل قسما في العديد من الدراسات التي لا علاقة لها بالسياحة في حد ذاتها، ويمكن القول إن الأماكن الموجودة على الطرق المختلفة -أنواع الأماكن التي غالباً ما تثير اهتمام علماء الأنثروبولوجيا -تنفتح بشكل كبير على السياحة في ظل عولمة الاقتصاد العالمي، ومع تحسن شبكات النقل والاتصالات

شكل رقم (١)

معدل النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي بأنجولا

خلال الفترة (٢٠٠٠ – ٢٠١٥)

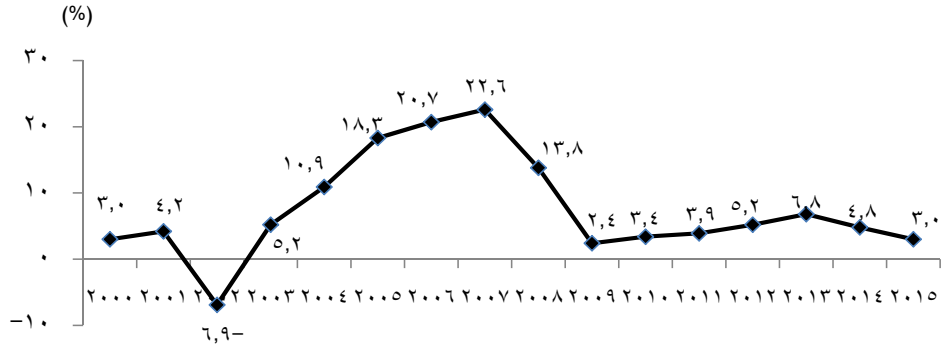

المصدر: قاعدة بيانات البنك الدولي لدولة أنجولا، ٢٠١٩، على الموقع التالي:
https://data.albankaldawli.org/country/Angola

المطلب الثاني

أنواع الفساد في أنجولا

تختلف أنواع الفساد في أنجولا من حيث حجم المتحصلات في جريمة الفساد والدرجة الوظيفية لمن يقوم به، وينقسم الفساد في أنجولا إلى الفساد الصغير والفساد الكبير، ويوجد كذلك الفساد السياسي وفساد المحسوبية كما يلي:

أولاً: الفساد البيروقراطي والصغير " Petty and Bureaucratic Corruption"

وهو الفساد الذي يقوم به صغار الموظفين والمسئولين، وغالبًا ما يكون حجم المتحصلات منه قليلاً، ويتسم بأنه غير منظم وقد يكون الهدف منه تيسير الإجراءات المُعقدة وقد يكون هو في حد ذاته سببا في تعقيد الإجراءات حيث يعمد الموظف أحيانًا إلى وضع العراقيل امام المواطنين للحث على تقديم الرشاوى.

ويتمثل الفساد البيروقراطي والصغير في أنجولا في الرشاوي، والتي تنتشر بصورة كبيرة بين الجمهور، وذلك من أجل الوصول إلى الخدمات الأساسية كالصحة والعدل والتعليم، كما أن رجال الشرطة يبتدعون رسومًا إضافية عند نقاط التفتيش، فضلاً عن أن الموظفين العموميين يفرضون رسومًا إضافية من أجل زيادة رواتبهم الضعيفة.

عبر الوطنية (Lanfant et al 1995).

ويحصل السياح اليوم على إمكانية الوصول إلى أكثر الوجهات البعيدة في منطقة الأمازون (Jayal) Castner 1990, Linden 1991), the Himalayas McEachern 1995), the Antarctic (Hall & Johnston 1995, Vidas ,1986 . (1993), and, yes, outer space (Rogers 1998

تستحق الأهمية الاقتصادية للسياحة أيضا اهتمام علماء الأنثروبولوجيا، وكما لاحظ Greenwood (1989)، فإن السياحة هي "أكبر حركة على نطاق واسع للسلع والخدمات والأشخاص"، وقد قدرت منظمة السياحة العالمية (٢٠٠٠) أن عدد السياح الدوليين المسافرين في العالم في عام ١٩٩٩ بلغ ٦٦٤ مليون سائح، وقد حسبت الجمعية الدولية للسياحة الإيكولوجية (١٩٩٨) أن إيرادات السياحة تمثل ثلث التجارة العالمية في الخدمات، وتشير هذه الأرقام إلى حقيقة أن السياحة هي حافز مهم للتنمية الاقتصادية والتغيير الاجتماعي والسياسي، وهي عمليات أساسية لمصالح العديد من علماء الأنثروبولوجيا، وقد أصبحت السياحة البيئية مجال تركيز خاص، وخاصة بين المهتمين بالتنمية المستدامة .

وأخيرا، استحوذت السياحة على اهتمام علماء الأنثروبولوجيا لأنها غالبا ما تنطوي على لقاءات وجهًا لوجه بين أشخاص من خلفيات ثقافية مختلفة، وقد اعترف Lett (1989) بالسياحة من خلال تحقيق "أكبر حركة سلمية للأشخاص عبر الحدود الثقافية في تاريخ العالم"، حيث عندما يلتقي السياح والسكان المحليون، فإن كلاهما لديه الفرصة ليس فقط لملاحظة كيف يعيش الآخر، ولكن أيضا للتفكير في حياتهم الخاصة من خلال عيون الآخرين، ونتيجة لذلك، فإن هذه التفاعلات بين الثقافات غالباً ما تتحدث عن "الحلول الحقيقية" لبعض القضايا النظرية الأوسع في الأنثروبولوجيا، بشكل عام، تأتي أنواع الأسئلة التي طرحها علماء الأنثروبولوجيا حول السياحة من إحدى مرحلتين في ما يسمى "العملية السياحية" (Nash 1981)

ولدراسة السياحة، فإنه يمكن استخدام نظرية "رؤى العالم"، التي تعالج مشكلة معنى الوجود، كما أن لها تأثير كبير في حياة الفرد الداخلية، كما تؤثر في

علاقته بالعالم أو الكون، ويرى "روبرت ردفيلد" أنها تصورات عما هو كائن وعما يجب أن يكون، وهي تتضمن أنماط التفكير والاتجاهات السائدة نحو الحياة (الأسود، ١٩٩٣، ١-٨)

ثانياً: أصول السياحة:

على الرغم من أهمية السياحة للناس في كل مكان تقريبا، إلا أن علماء الأنثروبولوجيا واجهوا صعوبة في تعريف السياحة (Cohen 1974, Nash 1981)، وبشكل أساسي، فإن السائح هو "شخص مرفه مؤقتا، ويزور طوعا مكانا بعيدا عن المنزل لغرض تجربة التغيير"(Smith 1989, p. 2)، وقد كان أحد الموضوعات التي تهم الباحثين في مجال السياحة هو تتبع الدوافع والمظاهر الاجتماعية وأنشطة هؤلاء "الأشخاص المرفهين" بمرور الوقت، من هؤلاء؟ أين سافروا وما الذي كانوا يبحثون عنه؟ (Pearce 1982)، ويمكن القول ان الأشياء التي كان يفعلها السياح والخبرات التي يبحثون عنها تغيرت بمرور الوقت، تماما كما تبدلت من بلد إلى آخر وعبر الفئات الاجتماعية من الطبقة والنوع والعرق.

وقد سعى العديد من علماء السياحة إلى شرح الدوافع النفسية الاجتماعية لبعض هذه الاختلافات، و اقترح MacCannell (1976) أنه بتتبع خطوات السياح، يمكن للمرء أن يبدأ في فهم أنظمة القيم في العالم الحديث، و في الواقع، من خلال أخذ السياح كموضوع له، فقد كان هدف MacCannell من ذلك هو صياغة "إثنوغرافيا المجتمع الحديث"، والتي تتميز بالحداثة، بالنسبة إلى MacCannell ، أهتم بمشاعر الاغتراب والتجزئة والسطحية، أى ان البحث عن تجارب حقيقية هو انعكاس لرغبة السياح المعاصرين في إعادة التواصل مع "المجتمع البدائي، الطبيعي، الذي لم يتأثر بالحداثة"(Cohen 1988, p. 374; see also Dobkin de Rios 1994, Harkin 1995, Redfoot 1984)، ومما يثير الإعجاب بشكل خاص في عمل MacCannell هو أن السياحة يمكن أن تكون بمثابة قوة موحدة في المجتمعات الحديثة، حيث تجمع الناس معا لتحديد الأماكن والأحداث والرموز مجتمعة التي تعتبر مهمة وذات مغزى ما (أي "لا ينبغي تفويتها")، وقد تشمل هذه

الرموز والأماكن على سبيل المثال: جراند كانيون وجسر جولدن جيت وبرج إيفل، ويتم السماح برؤية هذه الأشياء" شخصيا" ومن ثم يقوم السياح بتقاسم الخبرات مع الآخرين من خلال الصور الفوتوغرافية والهدايا التذكارية والقصص وبإعادة تجميع الأجزاء المتباينة من حياتهم المجزأة.

ومن خلال السياحة، يمكن أن تبدو الحياة سهلة وسلسلة من الصور المنظمة، مثل اللقطات في ألبوم العائلة (Lippard, 1999) وبالفعل، فقد قام Kirshenblatt-Gimblett (1998) بتفسير الطرق التي تمر بها السياحة والتي عن طريقها يمكن عرض العالم كله كمتحف، وذلك من خلال التجول في مواقع المتاحف العالمية، وعن طريق ذلك يمكن للسياح أن يؤكدوا ويعززوا في النهاية ما يعتقدون أنهم معرفونه بالفعل عن العالم (Bruner 1991)، وعلى نفس المنوال، وصف Gra-burn (1989) عام ١٩٨٩ السياحة بأنها نوع من الطقوس التي تعكس قيم المجتمع الراسخة حول الصحة، والحرية، والطبيعة، والتحسين الذاتي.

وتظهر الكائنات المقدسة في طقوس السياحة الحديثة على الصفحات، وعلى المواقع، ومن خلال التقديس الجماعي لهذه الكائنات والرموز المقدسة، يمكن للسياح تقوية اتصالهم ببعضهم البعض وكذلك بالمجتمع الأكبر، وقد قال كلا من Turner (1978) & أن السفر الترفيهي هو في الواقع مثل الطقوس والشعائر الدينية، والتي عن طريقها يمكن أن يخرج الناس من الهياكل العادية لحياتهم اليومية، اى انه يمكن للسياحة أن توفر الحرية من العمل والوقت الإلزامي الآخر، والهروب من الأدوار الاجتماعية التقليدية، والحرية في قضاء الوقت مع اختيارات الشخص فقط، ومثل الأنشطة الشعائرية الأخرى، فإن السياحة تسبب لمشاركيها حالة من الإهمال، وبهذه الطريقة، تعكس السياحة الحديثة "الهيكل المضاد" للحياة، اى انها تعتبر هربا من شيء ما، بدلاً من البحث عن شيء ما (Turner 1969, 1982)، وهنا يمكن القول انه تضاءلت أهمية الأصالة كتفسير لما يحفز السياح على السفر (Bruner 1991).

ويمكن القول انه في دراسات أخرى تتعلق بأصول السياحة، سعى علماء الأنثروبولوجيا إلى تفسير سبب ظهور بعض أنواع السياحة في أنواع معينة من

المجتمعات (Cohen 1972)، وفي هذا النمط من البحث، يتم تصور السياحة كظاهرة فوقية، تعتمد على مجموعة من العوامل المادية (Nash 1996)، ويصبح السؤال ما هي الظروف الاجتماعية والسياسية والبيئية الخاصة في أي مجتمع معين والتي تؤدي إلى أنواع معينة من السفر الترفيهي أو أنواع معينة من السياح (Crandall 1980, Dann 1981) ؟ حيث يمكن القول ان المجتمع الياباني، على سبيل المثال يجبر الناس على تفضيل مشاهدة المعالم السياحية في مجموعات كبيرة؟

ثالثاً: تقييم الاختيارات والقيود المحلية:

على الرغم من أن علماء الأنثروبولوجيا قد تفحّصوا العوامل التي تحفز السياح على السفر، الا انهم أعطوا اهتماما أقل لدراسة الظروف التي يتورط فيها الأشخاص في الوجهات المضيفة في السياحة، والخطوة الأولى في ملء هذه الفجوة ستكون أولاً إدراك أنه ليس كل الناس أثناء استقبال السياح يشاركون في السياحة على قدم المساواة، حيث قد يشارك بعض أعضاء المنطقة المحلية بشكل مباشر، ويتفاعلون مع السياح على أساس منتظم كدليل، وفنانين، أو حرفيين، في حين قد يشارك آخرون فقط خلف الكواليس، أو يعملون كموظفين مساعدين أو كمعاونين لتقديم الأطعمة والإمدادات، وأيضا يمكن القول انه من المنظور الاقتصادي، سيختلف المضيفون المحليون أيضا من حيث مقدار الوقت والطاقة التي يستثمرونها في السياحة: حيث سيعمل البعض كعمال أجور بدوام كامل، في حين أن آخرين سوف يتعاقدون على العمل من حين لآخر أو يحصلون على أموال نقدية فقط من خلال بيع البضائع للسياح.

في أثناء تحليل الفروق في كيفية مشاركة المضيفين المحليين - أو اختيار عدم المشاركة - في السياحة، قد نبدأ في تحليل نطاق العوامل التي تحدد من يشارك، ولماذا، وبأي طريقة، وعبر طرح هذه الأسئلة الأخيرة، يمكننا استكشاف ما تحدده السياحة في حياة الأشخاص والعوامل التي تحدد حياة الناس في علاقتهم بالسياحة، ومن خلال دراسات الحالة يمكن القول أن النوع هو أحد المتغيرات المهمة التي تحدد من يشارك في المجتمع المضيف للسياحة، وقد وجد Swain (1989) أن أدوار النوع بين هنود كونا في بنما شكلت الاستجابات المحلية للسياحة، وبالتحديد ، أنتجت

Kunawomen عمل فني من النسيج، وبالتالي يهدف الى الحفاظ على صورة قابلة للتسويق العرقي للسياح، في حين سيطر رجال Kuna على القرارات السياسية التي تحدد التفاعل بين Kuna والسياحة، وقد وجدت كلا من Wilkinson & Pratiwi 1995) أن المرأة في قرية إندونيسية لا يمكن أن تشارك في التوجيه السياحي لأن القرويين لم يكن ينظر لهم فى هذه الحالة بشكل جيد حيث ثبت أن النساء يُنظر إليهن فى هذا السياق على أنهن عاهرات مهتمات بالاتصال بالسياح الأجانب.

وقد أكدت كلا من Levy & Lerch (1991) بشكل عام أن النساء يملن إلى العمل في وظائف أقل استقراراً وأقل أجراً وأقل مستوى في صناعة السياحة في بربادوس، كما يمكن أن تسفر القوالب النمطية المتعلقة بالجنسين عن كون المرأة أول نوع في المجتمع المضيف يقوم بالعمل في مجال السياحة. ووجدت مؤسسة Kinnaird & Hall (1994) أن مشاركة المرأة في السياحة في أيرلندا قد قُبلت في مجتمع كان تاريخياً يرتبط فيه عمل المرأة بأدوار الزوجة والأم وبدور الرعاية للآخرين، يعتبر تقييم الاختلافات بين الجنسين او الرجل والمرأة في كيفية مشاركة المضيفين في السياحة خطوة نحو تحسين فهمنا لأصل السياحة من منظور المضيف (Swain 1995)، ومع ذلك، تبقى العديد من الأسئلة من حيث السبب وتحت أي ظروف قد يختار السكان المحليون، أو قد يكونوا مدفوعين، للمشاركة في السياحة، ولابد من القول ان فهمنا سيتحسن إذا درسنا مدى عمل المضيفين كصناع للقرار في تشكيل أنواع السياحة التي تتم في مجتمعاتهم المحلية.

وفي عام (١٩٨١، ٤٦٢)، اقترح Nash أنه في حين أن المجتمع المحلي قد يتأثر بشكل لا يمكن تجنبه بالسياحة "فإنه قد يلعب أيضا دورًا مهما في تحديد نوع السياح الذي يتلقاه وشكل السياحة التي يمارسونها"، وبالمثل، أشار Chambers 1999)) إلى أنه "في كثير من الأحيان نعتبر المجتمعات والمناطق المحلية التي تستقبل السياح بأنهم المستلمين السلبيين للحركة السياحية"، مضيفًا أن محاولاتنا لفهم السياحة على أساس دوافع وسلوكيات السياح، "من المؤكد أن تتركنا مع تقدير جزئي فقط لما أتت السياحة لتمثيله في عصرنا".

رابعاً: تأثيرات السياحة والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية:

عند دراسة تأثيرات السياحة، غالباً ما كُرس علماء الأنثروبولوجيا لكتابة حسابات اثنوجرافية عن كيفية تأثير السياحة على المجتمعات المضيفة في مجموعة واسعة من الأوضاع الغربية وغير الغربية (Jafari 1990)، و بشكل عام، وضع علماء الأنثروبولوجيا مفهوما للسياحة على أنها تحديد مصير المضيفين بطرق عديدة، مثل ما إذا كانوا سيتطورون اقتصاديا أم لا، سواء كانوا سيشعرون بالفخر أو العار بشأن أنفسهم وتقاليدهم، أو ما إذا كان لديهم حوافز لحماية أو تدمير بيئتهم، ويمكن القول انه نادراً ما كانت آراء العلماء حول آثار السياحة على المجتمعات المضيفة إيجابية، وقد علق Rossel (1988,1) على أن "السائحون يعيثون الخراب على وجه المشهد الاجتماعي والثقافي" وهذا يعكس على نحو كبير شعور العديد من علماء الأنثروبولوجيا، وفي الواقع، وكما لاحظ Crick ، فقد تم الإلقاء باللوم على السياحة في "كل تحول في القيم" (1989, 308)، وكان الازدراء الشامل للسياحة سائدا بصفة خاصة في السنوات التي سبقت اكتساب الاعتراف بالسياحة البيئية وأشكال السياحة البديلة الأخرى.

1- التغيير الاقتصادي:

ولكن التشاؤم حول السياحة لم يقوم به جميع علماء الاجتماع، لا سيما خلال ١٩٧٠، ولكن أيضا إلى حد ما اليوم (see Schwartz 1997)، عزز الاقتصاديون السياحة باعتبارها استراتيجية مثالية للتنمية، ويمكن القول ان وكالات الإقراض المتعددة مولت الدول لإصلاح البنية التحتية السياحية في العالم الثالث كوسيلة لزيادة إيرادات العملات الأجنبية وزيادة الناتج القومي الإجمالي للفرد فى هذه الدول، خاصة في ما يسمى مناطق الرمال والشمس والبحر، حيث كان ينظر إلى السياحة على أنها ذات إمكانات نمو غير محدودة (Crick 1989)، وفي الوقت الذي تم فيه توجيه أموال المساعدات إلى الجنوب، أشاد التحديثيون في السبعينيات بالسياحة كمحفز قوي لمساعدة منطقة الكاريبي وغيرها من الأماكن على "البدء" في اقتصادات مزدهرة قائمة على الخدمات.

وعلى الرغم من الآمال المبكرة، لم تكن السياحة "جواز سفر" لتنمية الاقتصاد الكلي كما هو مخطط لها (de Kadt 1979)، وبدلاً من تخفيف حدة الفقر، بدت السياحة وكأنها تطرح أنواعا جديدة من المشاكل الاجتماعية، بما في ذلك أسواق العملات السوداء والمخدرات والبغاء (see Oppermann 1998)، وبالإضافة إلى ذلك، ارتبطت السياحة بالأنفاق الفاخر، والاكتظاظ والتلوث، وكلها تزيد من التدهور البيئي (Honey 1999)، وفي هذه الأثناء، كانت أنواع البنية التحتية التي كانت الحكومات ووكالات المعونة تستثمر فيها - ملاعب الجولف والفنادق الشاهقة - لا تفعل الكثير لتخفيف الاحتياجات التعليمية والصحية والرفاهية للسكان المحليين (Richter 1982)، وفي هذه الأثناء أيضا، كانت الأرباح من السياحة تُصرف إلى قادة الصناعة في البلدان المتقدمة (Crick 1989)، اى انه باختصار، أصبحت السياحة مقدمة وبداية للاستعمار الجديد(Nash 1989).

وعلى مستوى الاقتصاد المحلي، كان علماء الأنثروبولوجيا يعرفون أن السياحة تسببت فى أنواعا أخرى من الفوضى، فبالنسبة للفرد الواحد، فإن فرص العمل المتوفرة من خلال السياحة تعطل أنشطة صغار المنتجين، الا ان دراسات الحالة الإثنوغرافية من الوجهات المضيفة حول العالم أظهرت أن العمل بأجر من خلال السياحة يرفع تكاليف الفرصة البديلة لأنشطة المعيشة، وقد وصف(Oliver-Smith (1989 حالة في إسبانيا استبدل فيها المضيفون المحليون عملهم في الزراعة بالعمل في مجال السياحة، وقد أوضح (Mansperger (1995 كيف أدت السياحة بين سكان جزر المحيط الهادئ إلى وقف أنشطة الرزق باليوم وجعل السكان المحليين أكثر اعتمادا على العالم الخارجي، وقد عزا البحث الذي أجراه Seiler-Baldinger (1988) في منطقة الأمازون العليا الانخفاضات في الصحة بين السكان المحليين إلى أنهم ابتعدوا عن أنشطة الرزق للعمل في مجال السياحة، وقد جادل Rosenberg (1988) بأن السياحة ساهمت في زوال الزراعة في قرية جبلية صغيرة في فرنسا، حيث تم استخدام حيوانات الرعي بشكل رئيسي من أجل إزالة منحدرات التزلج.

لم يكن تعطيل أنشطة الرزق باليوم بالضرورة مشكلة في حد ذاته، ولكنه أصبح مشكلة عندما تم تقليل تدفق السياح، وتم ترك الناس بدون بدائل اقتصادية يمكنهم من خلالها الحفاظ على أنفسهم، لسوء الحظ، كان هذا الأمر (وما زال) ظاهرة شائعة نسبيا لأن صناعة السياحة عرضة بشكل خاص لدورات الازدهار والكساد، والمشكلة الثانية التي وجدها علماء الأنثروبولوجيا في التنمية التي تغذيها السياحة هي أنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى زيادة تقسيم الثراء في المجتمعات المضيفة، مما يؤدي في النهاية إلى نشوب الصراع الاجتماعي أو تفاقمه، وقد وجد Mansperger ان "الرئيس لا يتقاسم رسوم الدخول مع القرية، فالمال يجعل الناس بخلاء، وبالتالي الإضرار بروح الجماعة" (1995, 90)، وقد ربط Vickers (1997) قصة مماثلة بين سيونا وسيكويا في الإكوادور، حيث كان بعض الأفراد يعملون كمقاولين محليين، ويقودون السياح بمحرّكات خارجية، وحتى في بناء نُزُل خاصة بهم، وقد ظهرت المشاكل عندما تم النظر إلى أولئك الذين يظهرون روح المبادرة على أنهم يبحثون عن الإثراء الشخصي دون اعتبار لرفاهية الجماعة، حيث انه في هذه الحالات، كما في العديد من الحالات الأخرى، يبدو أن السياحة تساهم في زيادة الطبقات الاجتماعية والنزاع.

على الرغم من أن الدراسات الموجودة في علم الأنثروبولوجيا في مجال السياحة تتضمن حاليا وصفا ممتازا لما يمكن أن يحدث بشكل خاطئ عندما يتم إدخال السياحة إلى المجتمعات المحلية، إلا أن التحليل حتى الآن كان غريباً عن الأصوات المحلية، اى انه لا نملك إلا القليل عن كيفية إدراك السكان المحليين لنفسهم وذلك عن الإيجابيات والسلبيات المرتبطة بالسياحة، وكثيراً ما كانت الافتراضات التي يتم اتباعها هي أن السكان المحليين خُدعوا لقبول السياحة بدلاً من اختيار هذا الخيار لأنفسهم عن طريق الوعى، ومما يضاعف من غياب المنظور المحلي الافتقار إلى الدقة من حيث تحليل التأثير الصافي للسياحة على المشاكل الجديدة و / أو التحسينات في المجتمعات المضيفة، وعلى الرغم من أنه قد يكون صحيحا أن السياحة تتسبب في نزاع في المجتمعات المضيفة، فقد يكون من الصحيح أيضا

أن هناك عوامل أخرى في أي موقع مقصود، مثل إنشاء طريق، أو إعلان منطقة محمية جديدة، قد تسببت في حدوث صراعات.

بشكل عام، غالباً ما تعاني دراسات الحالة للسياحة من مشكلة السببية المعكوسة، على سبيل المثال، على الرغم من أن السياحة قد تتسبب في زيادة تقسيم الثروة في بعض المجتمعات، فربما يكون الأشخاص الذين يعيشون في أماكن يتم فيها الشعور بالاختلافات في الثروة أكثر احتمالاً للانخراط في السياحة.

2- التغير الاجتماعي والثقافي:

ويمكن القول انه بالإضافة إلى التنمية الاقتصادية، كان الاتصال بين الثقافات والتغييرات الناتجة عنه موضوعا شائعا بشكل خاص في دراسة تأثيرات السياحة (Nash 1996)، وقد جاء مثال من Nu˜nez (1963, 347)، الذي وصف السياحة بأنها "حالة مختبرية" لاختبار كيف يحدث التثاقف عندما يتفاعل السياح الحضريون الذين يمثلون ثقافات "المانحين" مع السكان المضيفين الذين يمثلون الثقافات "المتلقية"، وعلى الرغم من أن علماء الأنثروبولوجيا قد يبتعدون عن مصطلح التثاقف المسيّس الآن، إلا أن المفهوم الكامن وراءه لا يزال موجودًا في الخطابات العامة والأكاديمية حول السياحة في مجتمعات السكان الأصليين.

إن التثاقف هو "الأمور التي تحدث مع اقتحام السياح، والاستهلاكية، ""تسليع الثقافة" (e.g., Chicch´on 1995, McLaren 1997, Ros-sel 1988, Seiler-Baldinger 1988)، ويمكن القول ان استخدم "تسليع الثقافة" لوصف عملية يتم بواسطتها تقييم الأشياء في المقام الأول من حيث قيمتها التبادلية، في سياق التجارة، وبالتالي تصبح سلعاً (Cohen 1988)، وقد استخدم Greenwood (1977) مفهوم التسليع بالاشتراك مع السياحة لوصف كيف خسر مهرجان alarde في مدينة Basque Fuentrabia المعنى الثقافي والرمزي للمجتمعات المحلية بمجرد فتحه أمام السياح وتسويقه مثل أي سلعة أخرى، وقد كان القلق بين العديد من علماء السياحة هو ما إذا كان المصطلح الثقافي أو الطقوس الدينية يفقدوا معناهم بالنسبة للسكان المحليين بمجرد أن يتم التعامل

معه كسلعة، وقد وجدHall (1994 أيضا، على سبيل المثال، أنه بمجرد تسويق اللوحات للمستهلكين الدوليين، تم اقتلاعهم من سياقهم الاجتماعي والثقافي التقليدي، وبالتالي فقدوا أهميتهم بالنسبة للسكان المحليين.

وقد أكدتPicard (1990) أن الثقافة البالية كانت سلعة بحيث أن التمييز بين ما هو باليني وما يمكن أن يعزى إلى السياحة لم يعد واضحا، حتى بالنسبة للجزيرة نفسها، وغالباً ما تكون المناقشات حول فكرة أن الناس في الوجهات المضيفة سيفقدون هويتهم الثقافية نتيجة للسياحة، ويشعر الكثيرون بالقلق من أن السياحة قد تجعل المضيفين ينسون ماضيهم أو "يفقدون ثقافتهم" عندما يتبنون أساليب جديدة وفعالة في كونهم يتعلمون من الغرباء، وقد جادل Erisman بأن التدفق الهائل للبضائع والأشخاص والأفكار الأجنبية إلى الوجهات المضيفة الريفية له تأثير سلبي، والذي "يعمل على تآكل احترام الذات لدى الناس" (1983, 350)، ومن وجهة النظر هذه، يمكن للسياحة أن تؤدي إلى نوع من "التبعية الثقافية" التي يحصل فيها السكان المحليون على منافع اقتصادية، ولكن فقط عندما يلبوا احتياجات الغرباء، ومن ثم يحدث فقدان للهوية في هذا السيناريو حيث يتحسن الاقتصاد المحلي ويبدأ المضيفون في التصرف والتفكير كالسياح، الذين يرون أنهم متفوقون في كل شيء.

وفي دراسات أخرى أيضاً، كان ينظر إلى السلع على أنها قوة فاسدة بشكل خاص بين الشعوب الأصلية، ولاحظ Reed (1995) أن السلع يُنظر إليها على أنها تسحب الناس "إلى عمق أكبر في الدوامة المظلمة للأنشطة التجارية وإنها تقذفهم على الجانب الآخر من الحدود العرقية إلى ضوء قاسٍ للمجتمعات الوطنية والاقتصاد الدولي"، و يرى علماء آخرون أن السياحة تؤثر على الهوية المحلية من خلال نقل التوقعات، ووفقاً لهذا الرأي، يشكل السياح آرائهم عن الثقافات نتيجة اللقاءات السياحية من خلال إعطاء الأفضلية للسكان المحليين الذين ينظرون ويتصرفون بطرق أصيلة أو عرقية أصيلة، تكمن المشكلة هنا في أن الأصالة مفهوم ذاتي، وغالباً ما يعرّف السياح لأنفسهم ما هو أصيل، ويعتمدون على الصور

للنمطية الشائعة كنقاط مرجعية بدلاً من الحقائق التاريخية أو الإثنوغرافية (Ad-ams 1984, Crick 1989).

ووصف Boorstin (1964) اللقاءات بين السياح والسكان المحليين بأنها "أحداث زائفة" تستند إلى ما يختار السياح رؤيته بدلاً من ما هو موجود فعلاً، إن ما يختار السياح أن يراه هو بدوره متأثر بشدة بالجهود التسويقية لمشغلي الجولات السياحية (Silver 1993، ووسائل الإعلام الشعبية ((Urry 1990، والدولة (Volkman 1990)، في تحليل لنشرات السفر، وجد Rossel (1988,5) "مبالغات، تصريحات مضللة، وأكاذيب" والتي قدمت طريقة معينة لفهم الحقيقة، والتي قدمت "وجهة نظر سياحية"، وقد زعم (Adams,1984,470) أن الكتيبات ووكلاء السفر يقدمون للسائحين لمحة أولية عن السكان المحليين من خلال "الصور النمطية العرقية الجاهزة"، والتي يتم عادة صياغتها في وقت لاحق لرحلات السياح، وقد لعبت الدولة بشكل خاص دوراً رئيسياً في وضع اطار عن العرق والثقافة للسياحة، خاصة في الدول النامية، وذلك كطريقة لبناء التضامن الوطني، وجزء من ذلك كاستراتيجية لجذب السياح الأجانب Matthews & Richter 1991))، ونظريا، تنتقل الصور النمطية للسائحين عن السكان المحليين من خلال ما أطلق عليه ، (Urry 1990, 1996) "نظرة السياح".

وفي المقابل، يرضخ السكان المحليون للنظرة من خلال عكس الصور التي يأملون أن ترضي السياح، حيث إن الآثار طويلة المدى هي أن السكان المحليين سيحافظون على التقاليد التي هم على يقين أنها ستلبيهم وتجذب المزيد من السياح، وقد أشار(1984) MacCannell إلى هذه العملية على أنها "إعادة بناء العرق"، و في الواقع، قد يحاول السكان المحليون أن يتطابقوا مع توقعات الزوار، حتى لو بدت النتائج مفتعلة أو مزيفة، وقد كتبت1989) Evans-Pritchard) عن امرأة من الأمريكيين الأصليين شعرت أنها يجب أن "تبدو" هندية لكي يتم قبولها كمواطن أصيل من قبل السياح وذلك لأنها تعتمد على دولاراتهم"، وقد وصف Cohen (1979,18) السكان المحليين الذين "يلعبون دور السكان الأصليين" بانهم يقومون

بذلك للارتقاء إلى مستوى صورة جيدة أمام السياح، وهذا "اللعب" لم يصفه علماء الأنثروبولوجيا على الدوام بأنه اتجاه سلبي، وفى النهاية، فإن بعض العلماء يجادلون بأن السياحة لديها القدرة على إحياء القيم القديمة مثلما تفعل لتدميرها.

لقد وجد Smith (1982)علي سبيل المثال أن السياحة قد "تعمل على تعزيز الهوية العرقية" أيضا، اقترح Mansperger (1995) أن السياحة "يمكن أن تساعد السكان الأصليين على الحفاظ على هويتهم"، وقد كتب Van den Berghe (1994) أن السياحة يمكن أن تؤدي إلى "نهضة للثقافات الأصلية أو لتوريث الإثنية"، ومن ثم يمكن أن تصبح السياحة وسيلة تمكينيه للتمثيل الذاتي، وقد يختار السكان المحليون عن قصد إعادة اختراع أنفسهم عبر الزمن، وتعديل كيفية رؤيتهم وفهمهم من قبل مجموعات مختلفة من الغرباء (Cohen 1988)، دراستان من عام ١٩٨٠ أعطوا مثالا جيدا على طريقة تغيير السكان المحليين مظهرهم بوعي لإرضاء السياح.

وقد وجد Gamper ((1981أن الناس في جنوب النمسا بدأوا بتغيير ملابسهم للسياحة، ففي الروتين العادي، كان السكان المحليون يرتدون ملابس نموذجية في أي مكان آخر في أوروبا، ولكن خلال الموسم السياحي، أصبح الناس واعين بالحاجة إلى ارتداء الأزياء التقليدية، وحتى الآن تم تعديل الملابس، وعلى الرغم من أن اللون البني، والأسود، والأبيض في الأصل هو لون ملابسهم الطبيعي، الا انه تمت إضافة سترة حمراء زاهية لاحقا، كما أوضح أحد المخبرين، "تبدو أفضل عليهم، وفي دراسة أخرى، قام Albers & James (1983) بفحص ٦٠٠ صورة من البطاقات البريدية للأمريكيين الأصليين التي صدرت في الفترة ما بين ١٩٠٠ و ١٩٧٠، حيث اكتشفوا أن الصور تغيرت مع نمو السياحة في غرب أمريكا، وأن تصميمات الهنود كانت مصممة بشكل خاص لتتناسب مع توقعات السائحين.

وقد كان التغيير الأكثر تميزا في هذه الشعوب هو اختفاء الصور التي أظهرت الهنود في محيطهم الطبيعي واللباس اليومي، وبشكل متزايد، فإن الصور

تتطابق مع صورة نمطية "مشتقة من هواة الفروسية، صيد-الجاموس، والهنود في القرن التاسع عشر" (Mamiya, 1992,136)

خامساً: ديناميات تفاعل الضيف/ المضيف في أنثروبولوجيا السياحة :

لقد أشار علماء الأنثروبولوجيا أن تفاعلات المضيف-الضيف تميل إلى أن تكون غير متماثلة من حيث القوة، وأن لدى الضيوف اليد العليا في تحديد كيفية ظهور أي مواجهة معينة، وعلاوة على ذلك، أظهرت الدراسات الإثنوغرافية أن نظرة السياح يمكن أن تكون مؤثرة بشكل خاص في تحديد كيف ينظر المضيفون ويتصرفون ويشعرون، و بشكل عام، يتم تصوير المضيفين في هذه التفاعلات على أنها سلبية، وانها غير قادرة على التأثير على الأحداث، وتفتقد هذه التحليلات إمكانية قيام السكان المحليين، وغالباً ما يقومون بذلك، بدور في تحديد ما يحدث في مواجهاتهم مع السياح، وقد تم العثور على استثناء ملحوظ في العمل الإثنوغرافي من Silverman (2001)، الذي قام بعرض قدرات شعب إيتامول في بابوا غينيا الجديدة حيث عملوا باستراتيجية وقاموا بممارسة الإبداع في سياق تفاعلهم مع الغرباء.

ومن الأمور الأخرى المفقودة في العديد من التحليلات الحالية هي محاولة معرفة المزيد عن ديناميكيات تفاعلات المضيف-الضيف من خلال الملاحظة والتحدث مع الأشخاص على جانبي اللقاء، وقد أشار Evans-Pritchard (1989) إلى أن الأكاديميين تجاهلوا إلى حد بعيد موضوع الكيفية التي ينظر بها السكان المحليون إلى الغرباء، وعلى الرغم من وجود مؤلفات شاسعة حول موضوع الاستجابات المحلية للتغيرات الاجتماعية التي أحدثها السياح، فقد تم اكتشاف عدد قليل نسبيا من مواقف وأفكار السكان المحليين تجاه الغرباء.

وقد قامت (Kincaid (1988 بخطوة مهمة نحو سد هذه الفجوة بالكتابة بوضوح وصراحة عن غضبها واستيائها تجاه السياح الذين يزورون جزيرة (Antigua) في البحر الكاريبي، و ليس من الغريب أن يكون تصويرها لأنتيغوا على خلاف مع الوصف الموجود في الكتيبات السياحية، حيث كتبت: "إن أنتيغوا

التي عرفتها، أنتيغوا التي ترعرعت فيها، ليست هي أنتيغوا التي يراها السائح الآن" (1988,23)، وقد أكدت لزملائها، بحماسها اللاذع، ولزوار أنتيغوا: "لا يجب أن تدع هذا الشعور المضحك الذي تشعر به من وقت لآخر حول الاستغلال، والقمع، والهيمنة يتطور إلى حالة من عدم الارتياح الكامل، وعدم الراحة ؛ لان هذا الإحساس قد يدمر إجازتك"، وقد وجد Evans-Pritchard فى بحثه الخاص أن الأمريكيين الأصليين غالبا ما يستخدمون الفكاهة العرقية للاستهزاء بالسياح، مما يؤدي إلى سخرية الغرباء عن طريق "المبالغة في الصور النمطية المبالغ فيها بالفعل" (Laxson, 1991,96))، وفي دراسة أخرى، لاحظ Howell 1994)) أن السكان المحليين يمكنهم جني المتعة من اللعب مع السياح الذين "يجهلون الظروف المحلية، وبالتالي يظهرون في كثير من الأحيان غير أكفاء وأشخاص ساذجين وقابلين للاستغلال بشكل بارز"، وبالإضافة إلى "العبث مع السياح"، قد يكون السكان المحليون عاملين نشطين في تحديد ما يريدون الحفاظ عليه، أو اختراع تقاليد و/ أو فنون شعبية للسائحين، مع إدراكهم تمامًا لما هو حقيقي أو منظم، أو غير حقيقي، أو زائف.

وقد لاحظ Evans-Pritchard (1989) أن صائغي الفضة الهنديين غالباً ما يستخدمون الرموز والرموز التقليدية لخلق التأثير الجمالي الصحيح لأجزائهم على السياح، وبالإضافة الى ذلك، فهم يشكلون أيضا قصصا عن هذا الفن، مستفيدين بوعي من آمال السياح في العثور على معنى وأهمية ثقافية في كل ما يرونه، ويبدو أن هذا السلوك المغامر يتناقض مع فكرة أن السكان المحليين هم ضحايا سلبيون، والذين لا يدركون أنهم يخسرون أنفسهم وثقافتهم عبر نظرة الغرباء لهم، حتى في الحالات التي يقوم فيها المضيفون المحليون بتغيير جوانب هويتهم أو حياتهم لمناشدة السياح، قد لا يفقدون بالضرورة ثقافتهم أو قدرتهم على الحكم على أنفسهم بما هو زائف وحقيقي، وعلى العكس من ذلك، قد يشعر المضيفون المحليون بأنهم يتمتعون بالتمكين من خلال التفاعل مع الغرباء لإعادة تعريف من هم وما هي جوانب هويتهم التي يرغبون في إبرازها أو التقليل من شأنها، وذلك في سياق إحياء

الماضي أو التقاليد، وقد يكون السكان المحليون على وعي تام بحقيقة أنهم يقدمون عروضا ثقافية للسائحين ولا يكشفون عن الرموز والطقوس ذات المعنى الحقيقي لحياتهم الخاصة والتي هي موجودة "خلف الكواليس".

وقد تشمل الأسئلة فى هذا السياق التالي: ما الذي يفعله السكان المحليون للتلاعب بأنواع معينة من الصور أو إثارة مشاعر خاصة بين ضيوفهم؟ مثال على هذا النوع من العمل هو Adams (1995)، الذي درس كيف تعامل شعب وورجان في إندونيسيا مع السياحة لأغراضهم السياسية الخاصة، وقد وجد Adams أن الاستجابة المحلية لهذا الاهتمام العالمي كانت كوسيلة لتحقيق الأهداف المحلية، ومع استثناءات قليلة فقط، فقد أغفل البحث في علم انثروبولوجيا السياحة أصول وحوافز السياحة من وجهة نظر المضيفين، فعلى الرغم من أن العديد من علماء الأنثروبولوجيا قد صوروا ببلاغة الطرق التي غيرت بها السياحة حياة السكان المحليين، فقد تم إهمال كيف يمكن أن يؤثر المضيفون على الضيوف، وقد يتغير هذا الاتجاه مع تحولنا عن الافتراض بأن السياحة تُفرض دائماً على الأشخاص غير القادرين والسلبيين، وحتى في الحالات التي تكون فيها الطبيعة الإجبارية والاستغلالية للسياحة أمرا لا يمكن دحضه، فقد نبدأ في التحقيق بشكل أعمق في فهم كيفية إدراك السكان المحليين للعبء الثقيل عليهم، بدلاً من الاستمرار في الاعتماد على وجهات نظرنا كأنثروبولوجيين.

سادساً: أشكال السياحة البديلة :

في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، غالبًا ما كانت مقالات المراجعة حول دراسة السياحة تتساءل عن سبب تجنُّب علماء الأنثروبولوجيا للسياحة باعتبارها موضوعا للتحليل، أما اليوم، فقد يكون السؤال هو عكس ذلك: لماذا يولي علماء الأنثروبولوجيا الكثير من الاهتمام لأشكال السياحة البديلة؟ خاصة في العقد الماضي، حيث اكتسبت السياحة سمعة إيجابية أكثر بكثير بين علماء الاجتماع، والمحافظين على البيئة، وممارسي التنمية، ونشطاء حقوق السكان الأصليين، ويرجع ذلك إلى أن مجموعة كبيرة من شركات السياحة الجديدة، غالباً بالشراكة مع المنظمات غير

الحكومية، تدعي الآن أنها تتعامل بسهولة مع البيئة ومع الشعوب الأصلية، حتى في الوقت الذي تسعى فيه لتحقيق الربح، حيث تصف هذه الشركات رحلاتها بشكل مختلف بأنها «السياحة البيئية» أو «السياحة المجتمعية» أو «السياحة الثقافية» أو ببساطة «السياحة البديلة».

والسياحة البديلة يتم تعريفها بشكل عام على انها «أشكالًا من السياحة تتماشى مع القيم الطبيعية والاجتماعية والمجتمعية، والتي تسمح لكل من المضيفين االضيوف بالاستمتاع بالتفاعل الإيجابي والمفيد والخبرات المشتركة» (Eadington & Smith 1992,3)، وقد استحوذت هذه العلامة التجارية الجديدة على ههتمام الباحثين المعنيين بالأجندات الحديثة لربط الحفظ والتنمية (e.g., Guillen 1998, Lamont 1999, Sills 1998, Stronza 2000,Wildes 1998)، وقد بدأت على الأقل عدد من المجلات الجديدة، بما في ذلك مجلة السياحة البيئية ومجلة السياحة المستدامة، بالتركيز على إمكانيات وقيود السياحة البديلة، وبشكل عام، تبدو الأدبيات أكثر توازنا عن البحوث السابقة عن السياحة، حيث لا يدين علماء الأنثروبولوجيا على الأقل تأثيرات السياحة على المجتمعات المحلية، وإذا كان هناك أي شيء، فربما يكون الميزان مائلًا في الاتجاه الآخر.

والآن يبدو أن الاتجاه هو أن نحيي السياحة باعتبارها الدواء الشافي لتحقيق مجموعة واسعة من الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وقد لاحظ Munt 1994)) أن "السياحة الجماعية قد اجتذبت نقدًا قويا كتجربة ضحلة ومهينة بالنسبة للدول والشعوب المضيفة في العالم الثالث، الا انه قد تم النظر إلى الممارسات السياحية الجديدة بشكل جيد"، وقد اكتسبت السياحة البيئية نصيب الأسد من الاهتمام الموجه إلى السفر البديل، وقد وصف منشور مبكر عن السياحة البيئية بتكليف من المجموعة البيئية الموجودة فى الولايات المتحدة، السياحة البيئية بأنها "شكل من أشكال السياحة مستوحاة في المقام الأول من التاريخ الطبيعي للمنطقة، بما في ذلك ثقافات السكان الأصليين"(Ziffer 1989)، وفي السيناريو المثالي، يمكن أن يسهم استخدام علماء البيئة للموارد الطبيعية والثقافية في منطقة ما للسياحة، في

الاستفادة من الجهود المبذولة للحفاظ على البيئة، مع توفير الفرص الاقتصادية للسكان المحليين (Sherman & Dixon 1991)، وهذا الربط للأهداف كان يعني أيضا أن الأبحاث التطبيقية لعلماء الأنثروبولوجيا أصبحت حاسمة في تخطيط وتنفيذ المشاريع السياحية حول العالم، ويمكن التأكيد على ان الخبراء متفائلون ومشككون في أن السياحة البيئية قد تساعد في حماية الطبيعة في حين تلبي لالاحتياجات الاقتصادية للسكان المحليين (Barkin 1996, Boo 1990, Ca-ter & Lowman 1994, Honey 1999, Lindberg 1991, Lind-berg & Enriquez 1994, Orams 1999, Whelan 1991)

وبالنسبة للأنشطة الأخرى، مثل الصيد أو قطع الأشجار أو الزراعة، يبدو أن السياحة البيئية لها تأثير ضئيل على النظم البيئية (Groom et al 1991, Kusler 1991)، ومن الناحية المثالية، يمكن توجيه العائدات من السياحة البيئية إلى احتياجات التنمية المحلية، لكن النقاد يعارضون أن الكثير من السياحة البيئية، خاصة إذا كانت غير خاضعة للرقابة وغير خاضعة للتنظيم، قد تفسد للمناطق الطبيعية وتزعزع الحياة البرية والناس (Begley 1996, Giannec-chini1993)، كما يخشى البعض من أن الكلام عن السياحة البيئية هو غطاء للربح، حيث شدد (Vickers 1997) على أن "الكثير مما يمر من أجل السياحة البيئية" يتألف من مشاريع تجارية تهدف إلى زيادة أرباح الوكالات السياحية"، وهذا يعني أن البحث عن الأرباح يزيل أي نية لحماية الطبيعة أو تحسين حياة السكان المحليين، وفي خضم النقاشات حول الإيجابيات والسلبيات للسياحة البيئية، اكتسبت مواضيع المشاركة المحلية والملكية المحلية للبنية التحتية السياحية أهمية جديدة(Eadington & Smith 1992)

يمكن التاكيد على انضمام المجتمعات المحلية بشكل كبير إلى شراكات مع الوكالات الحكومية والمنظمات غير الحكومية وشركات السياحة الخاصة لتخطيط الاستراتيجيات السياحية وتطوير معالم جذب جديدة للزوار، ونتيجة لذلك، يكتسب المضيفون المحليون سيطرة أكبر بكثير على تأثير السياحة على مجتمعاتهم، و على

الرغم من الاهتمام الجديد بالسياحة البديلة وصنع القرار المحلي في مجال السياحة، فإن نفس الضعف المفاهيمي والتحليلي الموجود في الدراسات المتعلق بالسياحة التقليدية لا يزال قائماً، ويركز المدافعون عن السياحة البيئية، على سبيل المثال، على فكرة أن أنواع السياحة المناسبة ستؤدي إلى آثار إيجابية للمجتمعات المحلية والنظم البيئية، وأن المدخلات السياحية البيئية ستؤدي إلى النتائج المرغوبة بالنسبة للناس والمناطق الطبيعية.

ويمكن التاكيد على ان أدبيات السياحة البيئية تمتلئ بالمبادئ التوجيهية و "أفضل الممارسات" لتحقيق النجاح (Ceballos- Lascurain 1996)، فعلى سبيل المثال، ركزت مجموعة من الأوراق المقدمة في مؤتمر Yale لمدرسة الغابات بشأن السياحة البيئية (Miller & Malek-Zadeh 1996) على "الاستراتيجيات" و "معايير النجاح" لتطوير مشاريع السياحة البيئية، والأفكار عموماً مفروضة، بحجة أنه إذا كانت صناعة السياحة البيئية توفر المدخلات الصحيحة، مثل "النهج التشاركي"، عندها يمكن تقليل الآثار السلبية للسياحة على العوائل المحلية، ومع ذلك، لا يزال التركيز على ما هو خارج الموقع، وليس على ما قد تكشفه الظروف الحالية حول ما إذا كان للسياحة تأثير إيجابي أو سلبي على السكان المحليين.

ويمكن التاكيد على أننا نفتقد إلى فهم كيفية مشاركة المضيفين في أصول السياحة التقليدية، واننا أيضا لا نعرف سوى القليل نسبيا عن أهمية مشاركة المضيفون المحليون في السياحة البيئية، ويمكن التاكيد أيضا على ان عدم التفاوض المباشر من قبل المضيفين مع وكالات السفر الدولية، امر يؤدى الى معارضة السكان المحليون، على سبيل المثال، قد يعبرون عن معارضتهم عن طريق تخريب البنية التحتية، وأيضا، عن طريق الصيد أو إزالة مسارات في المناطق المحيطة بالبيئة، ويمكن للسكان المحليين أيضا تخريب صورة الطبيعة العريقة التي تروج لها العديد من السياحة البيئية، وقد وصف Bennett (1999) حالة في بنما حيث تم إحراق فندق مرتين ومهاجمة أحد مالكي الفنادق بسبب معارضة المحليون لشركة سياحة، وقد كتب Belsky (1999) عن مثال مشابه في قرية مايا في بليز، حيث قام السكان المحليون بإحراق مركز للحرف اليدوية.

ويمكن للمقيمين المحليين أيضا أن يقرروا مصير عملية السياحة البيئية من خلال إثارة المنافسة بين شركات منافسة مع بعضها البعض، وتحديد الظروف التي في ظلها سيتم السماح فيها للتدفق السياحي، حيث انه إذا تنافس العديد من الشركات على القبول نفسه للمجتمع، فقد يتورطوا في معارك حول من يستطيع تقديم أفضل الفوائد، وهو وضع يحدد فيه السكان المحليون، إلى حد ما، تكاليف تشغيل الشركات، وبهذه الطرق، يمكن للمضيفين المحليين التأثير على نجاح أو فشل السياحة، بغض النظر عن المدخلات الخارجية ونوايا الاستشاريين من الخارج، وهناك جهود حالية من اجل إشراك السكان المحليين كصناع قرار في المشاريع السياحية، ويمكن لعلماء الأنثروبولوجيا تقديم مساهمة كبيرة في هذا المجال من خلال تركيز المزيد من الاهتمام على الأسباب التي يختارها السكان المحليون أو يصبحون قادرين من خلالها على التشارك فى السياحة، وستكون هذه المعلومات مهمة إذا رأينا أن المدخلات الخارجية الصحيحة قد تكون ضرورية، ولكنها ليست كافية لضمان فوائد السياحة للسكان المحليين، لأنه قد تكون الظروف التالية، مثل هيكل المؤسسات السياسية والاقتصادية المحلية والعلاقات العرقية والقوالب النمطية المتعلقة بالجنسين لدى المضيفين المحتملين المحليين، ذات أهمية خاصة.

لقد تقدم عدد قليل من الباحثين بالفعل بفرضيات حول الظروف المحلية الأكثر ملاءمة للسياحة المجتمعية الناجحة، وعلى سبيل المثال، كتب Smith((1989، "تُفضل السياحة على وجه الخصوص عندما يكون لدى شرائح كبيرة من السكان الحد الأدنى من التعليم أو المهارات التقنية، حيث أن الصناعات الأخرى قد تتطلب تدريباً مكثفاً"، وفي عام ١٩٩٦، افترض King & Stewart (1996) أن "الآثار الإيجابية للسياحة البيئية من المرجح أن تكون أكبر عندما تكون الثقافة الأصلية في حالة تدهور بالفعل نتيجة لندرة الموارد الطبيعية"، وهذه هي بالضبط أنواع الافتراضات التي قد نرغب في استكشافها في المستقبل، وعلى الرغم من أن لدينا الآن العديد من التحليلات الوصفية الصلبة لما يحدث عندما يتم تقديم السياحة إلى المجتمعات، إلا أننا نفتقر إلى المقارنة عبر المواقع لتحليل العوامل الداخلية والخارجية التي تحدد سبب وجود أنواع معينة من التفاعلات مع السياحة في ظروف معينة.

نتائج البحث:

لقد تم مناقشة الأسباب التي تجعل السياحة موضوعا جيدا للدراسة بالنسبة إلى علماء الأنثروبولوجيا، ويمكن التأكيد على ان السياحة ذات صلة بالعديد من القضايا النظرية والواقعية في علم الإنسان، وذلك بالنسبة للناس في الوجهات المضيفة، وغالبًا ما تكون السياحة حافزًا للتغيير الاقتصادي والاجتماعي المهم، وسياق اللقاءات بين الثقافات، والإعداد الشبيه بالعروض والاستجمام والثقافة والتقاليد، و بالنسبة للسائحين، يمكن للسياحة أن تكون نوعا من طقوس الهروب من بنية الحياة اليومية، أو يمكن أن تمثل سعيا رمزيا لأنواع التجارب الأصيلة الغير متوفرة فى المجتمع الحديث، وبالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا، يمكن للسياحة أن تكون عدسة يمكن من خلالها استكشاف قضايا الاقتصاد السياسي، والتغيير الاجتماعي والتنمية، وإدارة الموارد الطبيعية، والهوية الثقافية والتعبير، وفي دراسة أصول السياحة - او ما يحفز السياح على السفر، وما الذي يحدد المكان الذي يذهبون إليه - ركز علماء الأنثروبولوجيا اهتماما كبيرا على السياح، وقامت الدراسات باستبعاد السكان المحليين، ونتيجة لذلك، لا نعرف سوى القليل عن دوافع الناس في الوجهات المضيفة للمشاركة في السياحة، أو للترويج لأنواع معينة من السياحة على غيرها.

في كثير من الأحيان، تم افتراض أن السياحة تُفرض على المضيفين بدلا من ان تكون برغبتهم، وعند استكشاف تأثيرات السياحة، كان علماء الأنثروبولوجيا يميلون في الاتجاه المعاكس، حيث قام الباحثون بتحليل على نطاق واسع، عادة عن طريق الإثنوغرافيا، وتأثيرات السياحة على المضيفين، ويمكن القول ان لدينا العديد من دراسات الحالة التي تصف آثار السياحة على الاقتصاد وعلى الهوية الثقافية للمضيفين، لكننا نفتقر إلى المعلومات حول الآثار التي يمكن أن تحدثها السياحة على الضيوف، و في كثير من الأحيان، تم افتراض أن المضيفين سلبيين نسبياً وأن وضعهم الأقل حظا يحول دون قيام السكان المحليين بتشكيل اللقاءات مع السياح، وقد ازدهر الاهتمام بالأشكال البديلة للسياحة، لا سيما السياحة البيئية، في السنوات الأخيرة، حيث افترض أنصار هذا الاهتمام أن مشاركة السكان المحليين يمكن أن

تكون حاسمة لتعظيم الفوائد الاقتصادية والبيئية والاجتماعية من السياحة، وعلى الرغم من هذا الاهتمام بالدور النشط للمقيمين المحليين، يميل الباحثون إلى التأكيد على أهمية المدخلات الخارجية، بدلاً من التركيز على الدوافع أو القيود السائدة لدى السكان المحليين، وذلك لتعزيز نجاح السياحة.

كما اقترح المدافعون عن السياحة البيئية أن السياحة يمكن أن تكون تربوية للسياح، وأن الأنواع الصحيحة من التجارب السياحية يمكن أن تؤدي إلى زيادة الوعى البيئي والحساسية الثقافية بين السياح، وعلى الرغم من أننا متفائلون بإمكانية زيادة الوعي من خلال السياحة، إلا أن قلة من العلماء قاموا بتحليل كيف تتغير مواقف السياح في الواقع نتيجة لأنواع معينة من التجارب، يجب أن يكون هدف البحث الأنثروبولوجي المستقبلي في السياحة هو سد الثغرات في البحث الحالي، و يجب أن نعرف القصة الكاملة لما يحدث للمضيفين والضيوف في جميع مراحل رحلاتهم ومختلف التفاعلات الثقافية، وسيكون هذا الأمر صحيحا بشكل خاص لأننا نسعى جاهدين لتطوير أنواع السياحة التي يمكن أن تولد مجموعة من المزايا للمضيفين بالإضافة إلى التجارب التعليمية والتحويلية للضيوف.